التواجد الاموي في بلاد الشام قبل الإسلام

أ.د. سلمى عبد الحميد الهاشمي أ.م.د. مصطفى سالم حازم

جامعة البصرة – كلية الآداب – قسم التاريخ

الملخص:

أرتبط الامويون ببلاد الشام منذ فترات زمنية سبقت البعثة النبوية، ويقف من وراء هذا التواجد أسباب اقتصادية، واخرى سياسية ، وأخرى أختُلقت من اجل أن تعطي لتواجد الجد الأعلى للأسرة الأموية أمية بن عبد شمس في بلاد الشام والاستقرار فيه مبرراً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى رفع قيمته أمام هاشم بن عبد مناف أبرز الشخصيات القرشية التي لعبت دوراً مميزاً في تطوير الحركة التجارية لمدينة مكة وجعلها أحد المحاور التجارية المهمة في شبه الجزيرة العربية، وكشف هذا التواجد الأموي في بلاد الشام حجم العلاقات التي كانت تربط الأمويين بالحكومات البيزنطية في بلاد الشام الذي نتج عنه تكوين العلاقات السياسية لعبت دور في تزويد الروم بكل المعلومات التي ترغب في معرفتها عن اخبار مكة وما يحصل فيها أيام البدايات الأولى للبعثة النبوية.

الكلمات المفتاحية: (التواجد الاموي، في بلاد الشام قبل الإسلام).

The Umayyad presence in the Levant before Islam

Dr. Salma Abdul Hamid Al Hashemi,

Dr. Mustafa Salem Hazem

University of Basra – College of Arts – Department of History

Abstract :

The Umayyads have been linked to the Levant since periods prior to the Prophet's mission. Behind this presence there are economic, political and other reasons that have been created in order to give the presence of the supreme leader of the Umayyad family Umayyad bin Abdul Shams in the Levant. The other raised the value of Hashim bin Abdul Manaf, the most prominent of the Qurashi personalities, who played a prominent role in the development of the commercial movement of the city of Mecca and made it one of the important trade axes in the Arabian Peninsula. This revealed the Umayyad presence in the Levant about the volume of relations that linked the Umayyad to the Byzantine

governments in the Levant tastier Which resulted in the formation of political relations played a role in providing the Romans with all the information that you want to know about the news of Mecca and what happens in the days of the first beginnings of the Prophet's mission through Abi Sufian.

Keywords: (Umayyad presence, in the Levant before Islam).

المقدمة:

كان من وراء تواجد الأمويين في بلاد الشام أسباب متنوعة ساهمت بشكل أو بآخر في تمكن الأمويين من أن يوجدوا لهم مواضع قدم على واقع ارض الشام ، وكذلك في تكوين علاقات تجارية مهدت لقيام علاقات سياسية مع الأطراف النافذة في بلاد الشام على المستويين الرسمي والشعبي كان له الأثر الكبير في معرفة بني أمية بأهل، ومعرفة الشاميين بالأمويين على وجه الخصوص، وهذا ما سيتم معرفته من خلال جنبات البحث الموضحة في ادناه:-

المبحث الأول : الرحلات والعلاقات التجارية.

كان لموقع بلاد الشام الجغرافي المشرف على شمال شبه الجزيرة العربية وإتصاله جغرافياً وسياسياً ببلاد الروم جعل منه حلقة وصل تجارية مهمة بين أغلب إجزاء شبه الجزيرة العربية، فكان للبضائع والسلع التي تنتج في بلاد الشام طلباً ورواجاً في وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية، كل هذه الإمكانيات شجعت على قيام حركة تجارية بين تجار مكة بالخصوص وتجار بلاد الشام، يضاف إلى ذلك وجود القبائل العربية التي استقرت في بلاد الشام منذ القدم مهدت السبيل فيما بعد لقريش للقدوم بتجارتهم لبلاد الشام والتحالف مع هذه القبائل من اجل تسهيل عملية مرور القوافل التجارية عبر مناطق تواجدهم وصولاً الى الشام، فقد استطاعت أن تسيطر على النشاط التجاري، حيث أقامت في أماكن تمر بها القوافل التجارية القادمة من اليمن.

فالطريق الذي يربط الشام باليمن يُعد من أهم الطرق التي حملت منتجات الشرق إلى الغرب وبالعكس، وكان لهذا الطريق ممران مهمان يتجه أحدهما إلى العقبة[١]، والآخر يبدأ من صنعاء ثم

يسير شمالاً مخترقاً الحجاز ماراً بمكة فالشام[٢]، وهذا الطريق هو الذي شجع تجار مكة لأن يكونوا هم ايضاً حلقة وصل بين تجارة اليمن وتجارة بلاد الشام، فمن خلال هذا الطريق الذي يبدأ من اليمن إلى مكة ومن مكة الى الشام عرف اهل مكة مفهوم ايلاف قريش[٣]، الذي بموجبه أستطاع أهل مكة وبالخصوص أشرافها من إقامة التحالفات والمواثيق أو ما عرف بالحبال[٤] من أجل تأمين تجارتهم، فقد كان لهاشم بن عبد مناف الدور الهام والبارز في نشأت هذه التحالفات، كما أدلت المصادر بأن هاشم قام بعقد الحلف مع القيصر، ويبدو أن من عقد الحلف مع هاشم لم يكن القيصر إمبراطور الروم نفسه، بل يمكن ان يكون نائب الامبراطور في الشام أو القائم بالأعمال البيزنطية في الشام، فقد روِّي "...**وكان هاشم رجلاً شريفاً وهو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر لأن تختلف آمنة، وأما من على الطريق فألفهم على ان تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق فكتب له القيصر كتاباً**.."[٥]، وهذا يعكس مدى مكانة أشراف مكة وبالخصوص هاشم بن عبد مناف عند قيصر الشام فبعد أن كثر الحديث عنه بين أوساط أهل الشام وما رأوه من كرم وسماحة وغيرها من مكارم الأخلاق جعلت منه محط أنظار الجميع حتى وصل ذلك إلى مسامع القيصر، فأستغل هاشم هذا الموقف وطلب منه تسهيل عملية مرور القوافل التجارية من مكة الى الشام ومن الشام إلى اليمن مروراً بمكة، فتمكن هاشم بما تمتع به من مكانه ومنزلة ووجاهة وحظوة لدى القيصر من الحصول على ما أراد، ونال طلبه استجابة من قبل القيصر، فقد جاء بهذا الشأن " **إيها الملك، أن قومي تجار العرب، فأن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم، فكتب اليه كتاب أمان لمن يقدم منهم...**"[٦]، وبهذا الحلف أصبحت الشام والطرق المؤدي اليها محطة مهمة من محطات تجارة مكة، ولم يكتف هاشم واخوته[٧]، من عقد الحلف مع الشام بل أن هاشم قد طلب ايضاً من القيصر أن يأمر نجاشي الحبشة الذي كان مسيطراً على اليمن في تلك الفترة السماح لقريش من دخول اليمن بتجارتهم فقد ورد بهذا الشأن "... **وكتب إلى النجاشي إن يدخل قريشاً أرضه وكانوا تجاراً**.."[٨]، وبهذا الكتاب أستطاع المطلب بن عبد مناف، من الحصول على إيلاف من النجاشي تم على أثره ورود تجارة قريش الى اليمن دون أن تتعرض لشيء

وتعود إلى مكة بما تحمله من تجارة اليمن " **وخرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن فاخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر اليهم من قريش...**" [٩]، فمن خلال هذه التحالفات التجارية التي تعتبر من أهم التحالفات التي قام بها أشراف مكة عادت عليهم بنتائج قيمة على المستوى اقتصادي[١٠]،فقد جاء "... **حتى قدم مكة ـ هاشم ـ فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة..**"[١١]، وعلى أساس هذا أيلاف أستطاع تجار مكة، بما فيهم الامويين، من الخروج بتجارتهم خرج حدود مكة بعد أن كانت تجارتهم محصورة ضمن حدود مكة والمدن المحيطة بها[١٢]، ومما يؤكد مدى أهمية هذه التحالفات التجارية وما قام به أشراف قريش من عقد الايلاف، أنها وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: " **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف** " [١٣]، فبدلالة هذه السور المباركة التي تشير إلى مدى ما حققته قريش جراء هذا أيلاف من منافع تجارية ومادية وسمعة طيبة بين أبناء شبه الجزيرة العربية، لأن المراد بقوله تعالى(رحلة الشتاء والصيف)، هو خروج قريش من مكة للتجارة، وذلك أن الحرم وادٍ جديب لا زرع فيه ولا ضرع فكانت قريش تعيش فيه بالتجارة، وكان لهم في كل سنة رحلتان للتجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وهذا ما جعل لهم بين بقية القبائل مكانة ووجاهة ومنزلة اكتسبوها من خلال جوارهم للبيت الحرام، فعلى الرغم من أن السورة المباركة تشير إلى نعم الله سبحانه وتعالى على قريش من خلال تسهيل إقامة(أيلاف) الذي عاد عليهم بالمنافع التي لم تتوقع قريش أن تحظى بها، ألا أنهم لم يعبدوا الله حق عبادته[١٤].

ألا أننا نستفيد من قوله تعالى في السورة أعلاه للاستدلال على حجم المنفعة المتحققة من إقامة ذلك الايلاف، وهكذا أصبح الطريق البري بين الشام واليمن المسلك الحيوي منذ مطلع القرن السادس الميلادي حكراً على عرب الحجاز بالذات وبالخصوص أبناء مكة من الهاشميين والأمويين وبقية تجار قريش، أذ تركزت بأيديهم التجارة المتجهة الى الشام[١٥]، فبالرغم مما حققه الإيلاف من نتائج إيجابية على واقع التجارة والمعيشة في مكة وبالخصوص فيما يتعلق، برحلتي الشتاء والصيف، ولكن هذا لا يعني أن الرحلات التجارية مع بلاد الشام كانت مقتصرة على رحلة الصيف للشام أو يذهب الاعتقاد

إلى أن الإيلاف قد مهد لتجارة مكة نحو الشام، فقد كانت تجارة مكة مع الشام قبل أن يوجد الإيلاف، فعلى أساس هذا التواجد التجاري القرشي في الشام نتج عنه إعلان الإيلاف، وبهذا أصبح هاشم بن عبد مناف المؤسس الحقيقي لمجد مكة التجاري وسيد التجارة مع الشام التي أكسبته ثراءٍ واسعاً وأصبح سيد مكة بلا منازع(١٦).

أن تجارة قريش مع بلاد الشام تعود إلى فترات متقدمة قبل الإسلام، فقد ورد أن القرشيين كانوا يتاجرون مع أغلب مدن بلاد الشام ومن ضمنها مدينة بصرى(١٧)، التي تعد أحدى محطات الاسواق المهمة لأهل مكة حتى عرفت بسوق قريش، فقد جاء بهذا الشأن "... **وكان العرب يقصدونها ببضائعهم وتجارتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز..**"(١٨)، وعلى الرغم من شهرة قريش بصورة عامة بالتجارة مع بلاد الشام إلا أن تركيز أغلب الروايات التاريخية، حينما تتحدث عن نشاط مكة التجاري، على أبي سفيان، وهذا يعكس مدى متانة العلاقات بين بلاد الشام والأمويين، فقد قيل أن أبا سفيان كان تاجراً يجهز بماله وأموال قريش إلى الشام(١٩)، لذلك أصبح بنو أمية قوة اقتصادية لها وزنها في بلاد الشام، وأستطاع بنو أمية بفضل نشاطهم التجاري أن يكونوا إحدى القوى الاقتصادية المهمة في تجارة مكة مع بلاد الشام قبل الإسلام وبعده، مما أكسب بنو أمية مكانة مهمة في بلاد الشام مكنتهم من اقتناء الضياع لحسابهم، فقد قام ابو سفيان بشراء قرية في البلقاء(٢٠) تدعى بقبش(٢١)، وقيل نقنس أصبحت فيما بعد من أملاك ولده(٢٢).

أن تجارة قريش مع بلاد الشام بقيادة أبو سفيان ظلت مستمرة حتى وقت ظهور الإسلام، ففي السنة الثانية للهجرة أعترض المسلمون قافلة تجارية لقريش متوجهةً إلى الشام، قادمةً من مكة، وقد عرف هذا التعرض بذي العشيرة(٢٣)، غير أن المسلمين لم يضفروا بالقافلة، إلا أن هذه الحادثة كانت البداية لأندلاع معركة بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٣م)، فيما بعد، عندما عادت نفس القافلة بقيادة ابو سفيان من الشام إلى مكة(٢٤) وقد تمخض عن هذه المعركة ان اضطر تجار مكة لتغيروا طريق التجارة بين مكة والشام بعد ان أصبح الطريق المعتاد غير آمن مما استدعى القيام بإيجاد طريق أخر يؤدي إلى الشام لا يمر بالقرب من يثرب خوفاً على تجارتهم من أن يصيبها أذى، لذلك فأنهم سلكوا طريق العراق

ومن ثم ينعطفون نحم الشام، وكانت هذه القافلة بقيادة ابو سفيان ايضاً، فقد ورد "... **ان قريشاً كانت قد أخافت طرقها التي تسلك إلى الشام حيث كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان...**"[٢٥]، لذلك فأن أصرار قريش على استمرار التجارة مع بلاد الشام هو من أجل المحافظة على هذا المورد التجاري المهم المتدفق من الشام، فرغم المخاطر المحدقة بطريق مكة – الشام، ألا أن قريش لم تقطع علاقتها التجارية بالشام، وهذا ما يمكن ملاحظته من تيسير أبو سفيان لقافلة تجارية إلى الشام أبان فترة الهدنة التي أعقبت صلح الحديبية سنة(٦هـ/ ٦٢٧م)، فقد ورد "... **قال** – أبو سفيان– **كنا قوماً تجاراً وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله** ﷺ **وقد حصرتنا حتى أنهكت أحوالنا، فلما كانت هدنة الحديبية بيننا وبين رسول الله** ﷺ **خرجت في نفر من قريش إلى الشام، وكان وجه متجرنا منه غزة...**"[٢٦]، وهذ يدل على مدى صلة الأمويين ببلاد الشام لم تنقطع حتى في احلك الظروف وأصعبها، وهذا يعكس مدى متانة العلاقات التجارية التي تربط الأمويين بأبناء المجتمع الشامي والمتنفذين فيهِ.

المبحث الثاني: المنافرة بين هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس

بعد أن نجح هاشم بن عبد مناف من عقد الأحلاف التجارية وما تسبب به من خيرات لأهل مكة أصبح المؤسس الحقيقي لمجد مكة التجاري وسيد التجارة مع الشام التي اكسبته ثراءً واسعاً وأصبح سيد قريش بدون منازع، فقد عرف هاشم بكرمه وسخاءه وجوده[٢٧]، يضاف إلى ذلك قيامه بخدمة الحجيج وسقايتهم ورعايتهم[٢٨]، حتى قيل أن هاشم ما هي إلا كنُية تكنى بها عمرو بن عبد مناف نتيجةً لمواقف قام بها جعلته مخلداً بين أبناء مكة خصوصاً والعرب عموماً، فقد ورد بهذا الخصوص "... **فأصابت قريش سنوات ذهبت بألاموال فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخبز له فحمله في الغرائر**[٢٩] **على الأبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز ،يعني كسره وثرده ونحر تلك الأبل ثم أمر الطهاة فطبخوا ثم كفأ القدور على الجفان فأشبع أهل مكة فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم فسمي بذلك هاشماً**"[٣٠] لذلك قال في حقه وهب بن عبد قصي[٣١] شعاراً:

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيا أن يقوم به بن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النقيض

فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكللات من الشيزاء حائرها يفيض[٣٢].

كل هذه ألامور لا شك أنها زادت من حجم الجسد والغيرة والحقد لدى أمية تجاه عمه هاشم، لذلك فأنه حاول جاهداً أن يفعل أشياء يعجز عن اتيانها عمه هاشم، غير أنه فشل في أن يصنع مثل صنيعه، فقد قيل "... **وكان أمية بن عبد شمس مكثر فتكلف أن يصنع ماصنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشمت به ناس من قريش وسخروا منه وعابوه بما صنع...**"[٣٣]، وربما كان هذا بداية الشرارة التي أشعلت نار العداء بصورة مباشرة وعلنية من قبل أمية تجاه عمه هاشم بعد أن كان، على ما يبدو، عداءً مبطناً غير مصرح به، فبعد أن عجز أمية عن مجاراة هاشم بالمفاخرة ومنافسته في كرمه وجوده، دعاه الى المنافرة[٣٤]، وهنا لابد من تسليط الضوء على حادثة المنافرة التي تناولتها العديد من المصادر التاريخية، بصورة مفصلة لمعرفة حقيقة هذه الحادثة وتداعياتها ونتائجها لما لها من تماس بموضوعة علاقة أمية ببلاد الشام ، أذ يمكن اعتبار هذه الحادثة ـ أن صحت ـ بداية التواجد الفعلي في بلاد الشام، والذي يضاف للعامل التجاري الذي يربطهم بتلك البلاد.

ان ما تناقلته المصادر التاريخية من روايات حول موضوع المنافرة التي بين أمية وعمه هاشم سُجل عليها بعض الملاحظات التي تستوجب الوقوف عندها لأجل التعرف على مدى مصداقيتها من عدمها، ومدى ملائمة مجريات احداثها مع الثوابت التاريخية المتعلقة بكلا طرفي التخاصم، وحجم المقبولية التي يمكن أن تنالها الرواية ويطمئن لها، أن كانت قريبة للواقع، لهذا سوف أستعرض الرواية كما هي في المصادر التاريخية وأتناول الآراء التي قيلت فيها، سواء كانت مؤيدة لها أو طاعنة فيها، بدرجة من الحيادية، فقد ورد أن أمية بعد أوغرت صدره نيران الحقد والحسد، فأنه التجأ إلى منافسة هاشم من خلال قيامه بعمل وليمة كبيرة لأهل مكة، ألا أنه فشل في أن تكون الوليمة بحجم وليمة

هاشم، فقد ورد بخصوص ذلك "... **فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وكان ذا مال وتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش وأحفظوه، قال فأني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها ببطن مكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن، فنفر هاشم عليه فأخذ هاشم الأبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام وأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية...**" [٣٥].

فهذه الراوية التي أوردتها المصادر التاريخية وعّدتها من المسلمات في التراث العربي، لم يتم مناقشتها وتحليلها تحليلاً علمياً من قبل المؤرخين آنذاك أنما تم سردها كما هي وكأن ما ورد بين طياتها من أحداث شيء غير قابل للمناقشة والتحليل، إلا أن أحد الباحثين[٣٦] تناول دراسة الروايات المتعلقة بموضوع المنافرة بين هاشم وأمية وتبنى عدة طروحات حاول من خلالها تفنيد صحة هذه الحادثة من خلال الآراء التي تم مقارنتها مع ما ورد في الرواية من وقائع وحوادث تاريخية أسهمت نتاجاتها، وبحسب قناعة الباحث إلى نفي حادثة المنافرة المزعومة واعتبارها من الحوادث المختلقة في التاريخ العربي، فقد ناقش الباحث مسألة ولادة هاشم، وبحسب المصادر، كونه ولد توأماً لعبد شمس[٣٧]، وأن هاشم توفي وهو أبن الخامسة والعشرين من العمر[٣٨]، وقيل أنه توفي وله من العمر عشرون عاماً[٣٩]، فقد ذكر، واستناداً إلى الروايتين المتعلقتين بعمر هاشم، استبعاد أن يكون لعبد شمس يومئذ ولد كبير – أمية– يكتوي بنار الحسد وتتحرك فيه نوابض المنافسة على مجد يذكر او ذكر ينتشر[٤٠]، ويطرح أيضاً عدة اسئلة منها، متى تزوج عبد شمس؟ ومتى ولد أمية؟ وما مقدار عمر أمية وعبد شمس في العشرين من أو الخامسة والعشرين من عمره، بل هو دون هذا السن، فهو يذكر، من غير شك، أن المنافسة لم تقع سنة مات هاشم وإنما وقعت قبل ذلك، ولنفرض أن عبد شمس تزوج في الرابعة عشر من عمره وعلقت زوجته بأمية سنة الزواج، فكم يكون عمر أمية سنة المجاعة حين طمح إلى مجاراة هاشم؟ يكون عمره ست سنين على أقل تقدير، واذا وسعنا الفرض وقيل أن عبد شمس تزوج بسب مبكر، ولتكن المنافسة متأخرة جداً، فسيضاف إلى السنين الست أكثر من سنتين أو

ثلاث؟ ولتكن أربعة على فرض شاذ، فماذا سيكون عمر أمية؟ حتما يكون عمره عشر سنوت، وفي هذه الحالة، هل يجوز لغلام صغير أن يطلب ما طلبه أمية؟ وهل يملك أمية ثروة تسمح له أن ينفق على نحو يجاري به هاشم، مع العلم أن عبد شمس كان فقيراً مقلاً يتكل على أخيه هاشم في جل معيشته[٤١]، وبهذا الطرح أستقر رأي الباحث على أن مسالة المنافرة لا وجود لها وإنها حادثة مختلقة[٤٢]، وهذا يعني أن للعمر في هذه الحالة دور مهم في التثبت من حادثة المنافرة او نفيها.

ولم يكتف الباحث بهذا الطرح بل تعداه الى الطعن في نسب أمية بن عبد شمس من خلال الاستدلال على عمر هاشم وتوأمته مع عبد شمس[٤٣] فيعتقد أن المنافرة لو صحت وأن أمية كان بعمر يؤهله لأن ينافر هاشم فهذا يعني مية كان اكبر من عمره الذي فرضه الباحث ـ عشر سنين ـ ، فلو كان عمره أكبر من ذلك فهذا يدل على أن أمية ليس أن عبد شمس أنما هو لصيقً به[٤٤]، ويُعتقد أن الروايات التاريخية لم تكن دقيقة في تحديد سن هاشم حين وفاته حينما ذكرت أنه توفي وله من العمر ما بين العشرين والخمس والعشرين، وفي هذه الحالة فأن فترة عمر هاشم لم تكن كافية من أجل أن تغطي كل الأحداث الجسام التي قام بها وهو بهذا العمر، فقد ورد بهذا الشأن، " ... **ولأنهم ذكروا أنه أنشأ علاقات مع ملوك عصره، وكانت له سفرات كثيرة الى الحبشة والشام واليمن..... لأنه أول رجل من أولاد أسماعيل- -كانت له زعامة مطلقة في العرب واحترام من ملوك عصره...**"[٤٥]، وهذا يعني أن كل هذه المنجزات وشبكة العلاقات التي كونها مع زعماء القبائل والملوك الذين عاصروه لا يمكن ان يستحصلها جميعاً وهو بهذا العمر، ويُرجح أن يكون سن هاشم عند المنافرة أكبر مما صورته الروايات التاريخية_ اقل من سنة وفاته _ وهناك من يرى "... **لعله كان في الخمسينات كما تشير رواية منافرته مع أمية...**"[٤٦]، ويبدو أن هذا الراي فيه الكثير من الصواب ويمكن تأييده استناداً على ما ورد في الرواية من إشارة يمكن الاستدلال عليها من إن عمر هاشم حينما نافره أمية كان كبيراً ، بدليل ما ورد في ثنايا الرواية التي تناولت حادثة المنافرة فقد ورد ".. **وكره هاشم ذلك لسنه..**"[٤٧]، أي أن هاشم كان له من العمر والمنزلة والوجاهة ما يمنعاه من أن يقارن بعمر ومنزلة وقيمة أمية.

أن الطعن في نسب أمية أو التشكيك فيه لم تأت من فراغ، فهناك رأي ذهب إلى الاستدلال بأبيات شعرية لأبي طالب عليه السلام، قالها بحق آل عبد شمس وآل نوفل حينما أعلنوا عدائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها[٤٨]:

توالى علينا موالينا كلاهما إذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما كما جرجمت من راس ذي قلع الصخر

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا هما نبذانا مثل ما ينبذ الخمر

هما اغمزا للقوم في اخويهما فقد أصبحا منهم أكفهما صفر

قديماً أبوهم كان عبداً لجدنا بني أمة شهلاء جاش بها البحر

لقد سفهوا أحلامهم في محمد فكانوا كجعر بئس ما ضغطت جعر

فمن خلال عجز البيت الشعري (بني أمية شهلاء جاش بها البحر)، يُستدل بأن أمية أحد الرقيق الذين جيء بهم الى مكة عن طريق البحر[٤٩]، ويمكن أضافة رأي آخر أعتمد على جزء من قول لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في أحد كتبه التي بعثها جواباً على كتاب معاوية، فقد طعن بنسب معاوية من خلال قوله عليه السلام: " .. **وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل**"[٥٠]، والظاهر ان قوله عليه السلام (كاللصيق) فيه إشارة الى ما هو مشهور في نسب أمية ، فقد جاء بهذا الصدد "... **أن أمية لم يكن من صلب عبد شمس وإنما هو عبد من الروم فستلحقه عبد شمس ونسبه الى نفسه..**"[٥١]، وأعتقد ان قول امير المؤمنين عليه السلام فيه أشاره وافية ومؤكدة يمكن الركون اليها واعتمادها في تشخيص نسب أمية، ويبدو ان عملية الاستلحاق هذه مؤكدة لأن أمية استلحق أبناً غير شرعياً نتيجة لفعل الفاحشة مع آمة يهودية

اثناء إقامته في الشام اسماه (ذكوان)، عرف فيما بعد بأبي عمرو، فقد ورد بهذا الشأن "... **كان أمية بن عبد شمس خرج الى الشام فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمه لـ(لخم) يهودية من أهل صفورية**[٥٢] **يقال لها : (ترنا)، وكان لها زوج من أهل صفورية فولدت له ذكوان، فادعاه أمية وأستلحقه وكناه أبا عمرو...**"[٥٣] ، ويبدو أن الرأي الذي قيل بأن العرب أذا أرادت استلحاق عبداً زوجته بإحدى الكريمات من أجل أن ينال شرف الأنتساب بمن أراد استلحاقه[٥٤]، راياً فيه الكثير من الواقعية، فقد حصلت في تاريخ العرب الكثير من الحالات المشابهة، ومصداق هذا الراي أن أمية قد تنازل عن زوجته لأبنه ذكوان الذي أنجب منها ولداً عرف بأبي معيط، لذا قيل " **فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهو أبو معيط...**"[٥٥]، لذلك يمكن القول أن مسألة الأستلحاق أصبحت سنة متبعة في بني أمية وهذا ما أكده معاوية فيما بعد هذا العصر – عصر أمية – من استلحاق زياد بن عبيد[٥٦] ، الذي عرف لاحقاً بزياد بن ابي سفيان، يضاف إلى ذلك أن هناك ملاحظات يمكن أن تؤشر حول رواية المنافرة تساعد على الاعتقاد بأن إيجاد هكذا رواية كان وراءه غايات أراد واضعوها التركيز والتأسيس لأمور تفوق ظاهر الرواية التي فيها إساءة ومقت وتشهير ونفي لأمية من موطنه وموطن آبائه مكة، فعقوبة الجلاء هي وحدها تكفي لأن يلازم صاحبها العار مهما أمتد به العمر، ناهيك عن الخسائر المادية التي تكبدها أمية بعد أن خسر المناقرة، فمن هذه الملاحظات:

١- ان الشروط التي وضعها هاشم لقبول المنافرة والتي ينبغي على المنافر تطبيقها في حال خسارته، لم يحدد فيها مكان الجلاء، فقد حدد فيها كمية الرهان وعقوبة الجلاء ومدته، وهذا ما ذكره هاشم بن عبد مناف "... **فقال له هاشم إما اذا ابيت الا المنافرة فأنا أنافرك على خمسين ناقة سوداء الحدقة ننحرها بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين...**" [٥٧] أي ان هاشم ترك لأمية حرية اختيار المكان الذي يريد الأستقرار فيه مدة العشر سنين، وهذ يعني بأن أمية كان بإمكانه أن يختار الطائف أو يثرب لقربهما من مكة أو حتى اليمن التي كانت تربطهم بأهل مكة مصالح مشتركة، غير أن أمية قد أختار مكاناً آخر لأقامته طيلة فترة

النفي، فبحسب ظاهر الرواية فأن أمية قد أُجبر على مغادرة مكة طيلة هذه الفترة والاستقرار في الشام بالإكراه وليس بمحض إرادته نتيجة لشرط المنافرة، وفي هذه الحال لا يمكن الجزم بهذا الرأي اذا اعتقدنا أن حادثة المنافرة ماهي إلا تبرير جاء ليغطي على إقامة أمية في بلاد الشام، وهذا يدعونا للوقوف على الأسباب الحقيقية التي دعت أمية للبقاء في بلاد الشام غير الأسباب التي روجت لها روايات المنافرة، ولعل أصول أمية الرومية هي التي حفزته للإقامة في بلاد الروم في تلك الفترة.

٢-أجبار رجالات قريش – الذين لم تصرح بأسمائهم الروايات التاريخية- هاشم على قبول المنافرة بعد أن رفضها، فقد أكتفت "**... فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش وأحفظوه...**" [٥٨]، وقيل "**...كره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذموه...**" [٥٩]، أي أن هاشم قد إنصاع لضغط رجالات قريش، وهنا يمكن أن نطرح تساءل، لماذا أصرت قريش على هاشم لقبول منافرة أمية بعد أن كانوا رافضين ومستهجنين لفعل أمية؟ فقد ورد بهذا الشأن "**... وألب أمية إخوته ووبخوه وحربوه...**" [٦٠]، الغاية من وراء ذلك، هل هي من أجل التخلص من أمية وأفعاله، لانهم يعلمون مسبقاً هزيمة أمية في هذه المنافرة ؟ أم أن وضع هكذا جزئية في الرواية كي يكتمل سيناريو الرواية واحداثها؟ فعند الاطلاع على بعض المنافرات التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية والتي حصلت بين شخصيات وزعامات قبلية كان لها ثقلها في المجتمع العربي[٦١] لا نجد أن هناك من أُجبر على قبول المنافرة بعد أن كان رافضاً لها وتعرض للضغط من أجل قبولها.

٣-ناقشنا فيما سبق قضية عمر هاشم وعمر أمية حين المنافرة وقد تقدير عمر أمية فرضاً – عشر سنين – ، غير أن هناك إشارة في الرواية تؤكد أن عمر أمية حين المنافرة كان أكثر من سن بلوغ الرجال، فقد ذكرت الرواية أن من بين الشهود الذين حضروا المنافرة أبو همهمة[٦٢] نسيب أمية والد زوجته، فقد ورد بهذا الخصوص "**... وخرج ابو همهمة... وكانت أمه بنت أبي همهمة عند أمية بن عبد شمس فخرج معهما كالشاهد...**" [٦٣] ، وهذا يدعونا إلى استنتاج أمرين مهمين أولهما، حقيقة الشك في نسب أمية من عبد شمس من

خلال سن زواجه، وأنه لا يمت لعبد شمس بأي صلة سوى الأسم، ثانيهما، كذب حادثة المنافرة، أذ كيف يعقل ان يكون هاشم بسن أقل من خمس وعشرين وأمية متزوج وقريب من عمر هاشم الذي هو توأم والده عبد شمس.

(٤) أغفلت الرواية دور عبد شمس في أحداث المنافرة والتحضير لها والنتائج التي أسفرت عنها ونفي ولده أمية خارج مكة، إذ لم تخبرنا الروايات التاريخية عن ردة فعل عبد شمس من هذه الحادثة، وما كان موقفه من أخيه التوأم الذي كان أقرب الناس اليه وراعي معيشته[٦٤] أذ أن الرواية ذكرت فقط موقف أخوة أمية من الحادثة وما عبروا عنه من رفض وأستهجان لتعدي أمية على هاشم، غير أن موقف عبد شمس يبقى مبهم من هذه الحادثة – أن سلمنا بصحتها – هذا أذا ما علمنا بأن عبد شمس كان على قيد الحياة أيام المنافرة، ويمكن أضافة جزئية ملفته للنظر هي وجود رواية تذكر أن هاشم وعبد شمس ولدا توأمين متلاصقين وقد أختلفت الروايات في كيفية بيان الجزء المتلاصق بينهما، فتارة ذكرت الرواية أن عقب عبد شمس ملتصق بعقب هاشم، "**.. ويقال أن هاشماً وعبد شمس كنا توأمين، فخرج هاشم وتلاه عبد شمس وعقبه ملتصق بعقبه..**" [٦٥]، وهناك رواية تذكر ان أصابع أحد التوأمين ملتصقة بجبهة الآخر، ولا يُعرف أصابع من، أهي لهاشم أم لعبد شمس؟ فقد ورد "**... ان هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت أصبع أحدهما بجبهة الآخر..**" [٦٦]، وذكر المصدر نفسه أن التوأمين كانا ملتصقين من جهة الجباه، أي أن جبهة هاشم ملتصقة بجبهة عبد شمس وهذا ما يعرف بالتوأم السيامي[٦٧]، "**... ان عبد شمس وهاشماً كانا يوم ولدا في بطن واحد وكانت جباههما ملصقة بعضها ببعض...**" [٦٨]، يضاف إلى ذلك أختلاف الروايتين في توضيح من ولد أولاً هاشم أم عبد شمس، فقد جاء في أحدى الروايات أن هاشم بن عبد مناف ولد قبل عبد شمس فهو أسن منه ولو بشيء بسيط، فقد جاء بالرواية "**... فخرج هشام وتلاه عبد شمس...**" [٦٩]، في حين ذكرت رواية أخرى أن عبد شمس ولد قبل هاشم، وبهذا يكون عبد شمس هو الأكبر بذلك

الزمن الذي لا يعرف تقديره الا الله سبحانه، وهذا ما ذكرته الرواية ، "... **أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم...**" (٧٠)، فمن خلال استعراض جزئيات الروايتين ومدى الاختلاف في المعلومات التي استعرضناها، يلاحظ كثرة الاضطرابية وعدم الوضوح في الرؤيا، فالحادثة الواحدة لها أكثر من تفسير، فتارة تذكر أن هاشم خرج قبل عبد شمس، وتارة أخرى أن عبد شمس خرج قبل هاشم، ناهيك عن بقية جزئيات الروايتين، وهذا يدل على مدى التخبط في ضبط أحداث الرواية، وكذلك يمكن ملاحظة عدم دقة الراوي فيما يرويه كونه غير مطمئن لرأي ثابت يرجحه لذلك فأنه يذكر أكثر من حادثة، في حين ولم يتطرق أبن سعد لمسألة توأمة هاشم وعبد شمس حينما تحدث عن أولاد عبد مناف(٧١).

أن الامعان في الروايات التي تحدثت عن ولادة هاشم وعبد شمس أبناء عبد مناف وفصلت كيفية ولادتهما، ذكرت أن هناك من قام بفصل الأجزاء المتصلة من أجسادهم سواء كانت من جناب الأعقاب، أو الجباه أو طرف أحدهم بجبهة الأخر، بأداة حادة (موسى، سيف)، مما أدى إلى خروج الدم وهذه الحادثة عُدت بادرة شؤم عما ستؤول اليه نتيجة ذلك الانفصال الذي أحدثته تلك الاداة الحادة، حيث دب منذ ذلك الوقت العداء والفرقة والقتال بين أبناء هؤلاء التوأمين!!، فقد ذكرت المصادر "... **فقطع بينهما بالموسى، فقيل: "ليخرجن بين ولد هذين من التقاطع مالم يكن بين أحد"**(٧٢)، وورد في مصدر آخر "... **فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال العرب الا فرق بالدرهم فانه لايزال السيف بينهم وفي أولادهم الى الابد..**"(٧٣).

فما اشارت اليه الرواية التاريخية التي تبعث على الشك من أن واضعوا هذه الرواية أرادوا التبرير لمسألة العداء المستحكم من قبل بني عبد شمس وبالأخص بني أمية لأبناء هاشم ليروجوا أن هذا الأمر ما هو الا قدر كتب على بني أمية، وأن عدائهم لم يكن بدافع الحسد والحقد الذي عُرف عن بني أمية تجاه بني هاشم، ويلاحظ حجم المحاباة لبني أمية واضحاً من خلال التركيز على المساواة ما بين هاشم وعبد شمس حتى في الولادة .

أن كل ما تناولناه من آراء وطروحات واستنتاجات عند مناقشة حادثة المنافرة المزعومة، القصد منها الوقوف على حقيقة هذه الحادثة التي وضفت من أجل أن تأسس في ذهنية المتلقي إلى ان أمية – رغم ما حصل له – لا يقل شأناً عن هاشم ولا عن عبد المطلب نفسه، وأنه قامة من قامات قريش التي لا تبارى والذي أستطاع الوقوف بوجه زعيم قريش – هاشم– حينما عجزت كل رجالات قريش من أن ترد ولو كلمة بحضرة هاشم بن عبد مناف، وهذه واحدة من دعايات الاعلام الاموي(٧٤)، واذا سلمنا بصحة المنافرة فأننا لا نستبعد من أن موت هاشم في غزة ببلاد الشام(٧٥)، ما هو إلا أمر دبر بليل قام به أمية بالتعاون مع أصدقائه من يهود الشام الذين تربطهم به علاقات مشبوه ساعدته على اغتيال هاشم في بلاد الشام، وهذا ما أشار اليه الكوراني "**... وقد كان لأمية علاقات باليهود في بلاد الشام فقد يكون أمية دبر سمه – هاشم – بعد أن نافره وحكم عليه بالنفي...**" (٧٦)، وهذا يدعونا إلى الأخذ بهذا الرأي أذا ما علمنا أن جميع أولاد عبد مناف قد ماتوا خارج مكة ، فهاشم توفي بغزة في فلسطين، ونوفل في العراق، والمطلب في اليمن، عدا عبد شمس فانه توفي ودفن في الحجون في مكة المكرمة(٧٧)، لذلك يمكن القول أن أمية وأعوانه قد اغتالوا جميع أولاد عبد مناف لكي يتم إفراغ الساحة من منافسيهم، ويبدو أن إقامة أمية في بلاد الشام مدة العشر سنين قد جذبت أبناءه لهذا الجزء من شبه الجزيرة العربية، يضاف إلى ذلك أن وفاة هاشم قد مهدت الطريق أمام بني أمية للسيطرة على الحركة التجارية مع بلاد الشام، ويوعز أحد الباحثين أتساع رقعة نشاط بني أمية التجاري في بلاد الشام ونجاحه إلى انشغال أبناء هاشم في إدارة مكة وتدبير شؤونها الدينية أكثر من عنايتهم بالجانب التجاري(٧٨).

المبحث الثالث: العلاقات السياسية

لقد ارتبطت قريش بحكم مركزها الديني والتجاري بعلاقات سياسية بالمناطق المجاورة لمكة، أساسها العلاقات التجارية المبنية على جملة من العهود والمواثيق والتحالفات التي تنظم تلك العلاقات، ولكون مكة لم تشهد قيام حكومة سياسية تنظم شؤون مواطنيها ومتطلبات حياتهم العامة وتعنى بإيجاد علاقات متكافئة مع الدول المحيطة بها كألتي شهدتها بعض الأجزاء من شبه الجزيرة العربية، لذلك

فإن ما قامت به قريش من علاقات مع محيطها الخارجي لم يتعدى حاجز المحافظة على مصالحها الاقتصادية والدينية بشكل عام(٧٩)، لذلك فإن قريش حرصت على إدامة الاستقرار والسلم بين أبناء مكة من أجل استمرار انسيابية الحركة التجارية وبالخصوص أثناء الأشهر الحرم والتي كانت تقام فيها الأسواق الموسمية وما يتخللها من هدوء نسبي بين أبناء القبائل المتصارعة(٨٠)، ولأن التجارة تعتبر عصب الحياة بالنسبة لسكان مكة، لذلك سعت قريش، ومن خلال ما اكتسبته من خبرات تجارية ودبلوماسية، لإتخاذ موقف سياسي مهم يتصف بالحيادية بين أغلب الفرق المتنازعة، مكنها من أن تقف على مسافة واحدة من الصراع الفارسي – البيزنطي، فقريش رفضت الانضمام إلى جانب الساسانيين ضد البيزنطيين وبالعكس(٨١)، وهذا الموقف من قريش كان موضع ترحيب من كلا طرفي الصراع الفارسي– البيزنطي، لأن كلا طرفي الصراع كانا بحاجة إلى استمرار تجارتهم في شبه الجزيرة العربية وبالأخص البيزنطيين الذين أهتموا بإيجاد هكذا تعاون مع قريش في سبيل المحافظة على تجارتهم مع افريقيا والهند والتي تمر عبر طريق مكة – اليمن(٨٢)، لذلك فأن إقامة التحالفات التجارية بين قريش وأمراء الشام البيزنطيين فيها منفعة لكلا الطرفين وهذا مهد لأن تكون هناك علاقات سياسية بين القائمين على الحكم في بلاد الشام وبين تجار قريش الذين لهم ثقلهم في حجم التجارة بين مكة والشام، فقد كان لهاشم بن عبد مناف حظوة ومنزلة في أوساط الطبقة المتنفذة في الشام، جعلته ممن تتناقل أخباره حتى وصلت إلى بلاط القيصر، فأعجب به قبل أن يراه لذلك أمر باستدعائه من اجل ان يقوم بواجب الضيافة تجاهه، فقد ورد "... **فدعا به قيصر فلما راه وكلمه أعجب به، فكان يبعث اليه في كل يوم فيدخل عليه ويحادثه...**" (٨٣)، ومن هنا بدأت العلاقة بين زعيم قريش وبين قيصر الشام، فألى جانب العلاقات التجارية، فان البيزنطيين أرادوا الاتصال بقريش من أجل غايات سياسية، ربما كانوا يخططون من ورائها لضرب القبائل العربية بعضها مع بعض من أجل أضعاف قوة الغساسنة التي أصبحت تهدد المصالح البيزنطية(٨٤).

ويبدو ان هناك تطور قد حصل في طبيعة العلاقات البيزنطية القرشية في فترات أعقبت عصر هاشم بن عبد مناف، وأن هناك من قام بدور السفارة بين حكام الشام وقريش، فقد أنفرد أحد الباحثين بإيراد

معلومة مفادها أن عثمان بن عفان كان له لقاء مع أحد أمراء الشام البيزنطيين من اجل التعاون العسكري ضد الفرس، " **ذهب عثمان بن عفان إلى عمال بيزنطة المقيمين في بصرى**[٨٥] **وفاوضهم على الدور الذي يمكن ان يلعبه العرب مع البيزنطيين في حربيهم ضد الفرس...**" [٨٦]، حتى ان البيزنطيين ونتيجة لهذا التطور في العلاقات قد منحوا عثمان لقب(فيلارخ)[٨٧]، ولم أعثر في المصادر التاريخية المطلع عليها أي شيء قريب من هذه المعلومة ولا أعلم من أين حصل عليها الباحث، ومهما يكن نصيب هذه المعلومة من الصحة إلا أن فيها إشارة تؤكد تواجد عثمان بن عفان في الشام سواء كان تاجراً ام سفيراً سياسياً لقريش، وهذا يد على عمق العلاقة بين الأمويين وبين البيزنطيين، ومما يرجح صحة هذه المعلومة، وجود روايات تشير إلى أن هناك علاقات تجارية بين عفان والد عثمان وعثمان نفسه وبين أهل الشام فترة ما قبل الإسلام، فقد ورد "... **وكان ابو عثمان بن عفان خرج في تجارة إلى الشام فهلك هناك...**" [٨٨]، وهذا يدل على أن الصلات الأموية مع بلاد الشام لم تقتصر على طرف دون الأخر من أبناء بني أمية، فقد ذكرت المصادر أن عثمان بن عفان كان يتاجر مع أهل الشام أيام الجاهلية، فقد روي "... **وقدم – عثمان – الشام قبل الاسلام في تجارة وأجتاز البلقاء من أعمال دمشق...**" [٨٩]، وهذا يعني أن لعثمان بن عفان معرفة تامة بطرق بلاد الشام ومدنها، وهذا دليل على تكرار زياراته ورحلاته التجارية إلى الشام، ويبدو أن أتصال عثمان ببلاد الشام ظل مستمراً حتى بدايات الدعوة الإسلامية، فقد روي أن عثمان بن عفان أسلم بعد أن عاد بتجارته من الشام، "...**خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله على أثر الزبير بن العوام فدخلا على رسول اللهﷺ فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله تعالى فأمنا وصدقا، فقال عثمان يا رسول اللهﷺ قدمت حديثاً من الشام فلما كنا بين معان**[٩٠] والزرقاء[٩١] **فنحن كالنيام أذا منادي يناديا أيها النيام هبوا فأن أحمد قد خرج بمكة فقدمنا فسمعنا بك..**" [٩٢]، ومن هنا يمكن أن نستدل على وجود نوع من العلاقات السياسية بين أحد الأمويين – عثمان بن عفان – وبين البيزنطيين، ويبدو أن أبا سفيان قد تزعم الحركة التجارية بين مكة وبلاد الشام في حقبة مبكرة لذا أصبحت له علاقات سياسية مع قيصر الشام

بعد ان تكررت زياراته للشام، فأعتقد أنه كان دائم الزيارة للبلاط البيزنطي في الشام منذ ما قبل الإسلام وأستمر ذلك حتى بداية الدعوة الإسلامية، فقد قيل أن قيصر الشام أرسل في طلب أبو سفيان بشأن الاستفسار منه بخصوص طبيعة الأحداث الجارية في مكة وأخبار النبيﷺ بالخصوص، كما جاء "... **وخرج ابو سفيان الى الشام تاجراً فقدم على القيصر، فأرسل إليه القيصر يسأله عن النبيﷺ...**"[٩٣]، وهذا يدل على مدى تقدم العلاقات السياسية بين القيصر وأبو سفيان.

فمن خلال ما ورد في ثنايا الرواية من أحداث يمكن أن يُستدل منها على أن هذا اللقاء حصل بعد معركة حد سنة (٣هـ/٦٢٤م) وما حصل فيها من تمثيل في أجساد شهداء المسلمين من قبل مشركي مكة بالخصوص هند زوجة أبا سفيان، فكان أبا سفيان يتحدث عن بطولاته وبطولات قومه في هذه المعركة بقوله: "... **ثم قد غزوتهم مرتين في بيوتهم فبقرنا البطون وجدعنا الأنوف وقطعنا الذكور...**" [٩٤]، في إشارة إلى ما جرى من تمثيل في جثة حمزه بن عبد المطلبﷺ بعد استشهاده في المعركة من تمثيل وتقطيع، ويبدو أن أقوال أبو سفيان هذه تعطينا تصوراً يوحي بأن علاقته بالبيزنطيين لم تكن علاقة سياسية طبيعية وإنما علاقة تبعث على الشك وكأن هناك دور مشبوه كان يقوم به أبو سفيان أشبه ما يكون بالعمل الاستخباراتي لصالح قيصر الشام، وأن صح هذا الاعتقاد، فهو كان متعاوناً مع البيزنطيين من أجل القضاء الإسلام، وقد أستمرت علاقة بني أمية ممثلةً بشخص أبي سفيان بالبيزنطيين طوال مدة عداء مشركي قريش للإسلام وأثناء حروبهم ضد النبيﷺ ،حتى قبيل فتح مكة، وبالتحديد بعد صلح الحديبية سنة (٦هـ /٦٢٧م)، فقد روى أبن عباس عن أبي سفيان قوله: "... **فلما كانت الهدنة، هدنة الحديبية بيننا وبين رسول اللهﷺ خرجت في نفر من قريش إلى الشام وكان وجه متجرنا منه غزه ... فأنا لبغزه أذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ فقلنا نعم، قال: انطلقوا إلى الملك فانطلقوا بنا...**" [٩٥]، ورغم أن فحوى الرواية هو عبارة عن مجموعة من الاسئلة والاستفسارات وجهها هرقل الروم إلى أبي سفيان سيتعلم من خلالها عن حقيقة النبيﷺ الذي ظهر في مكة، إلا أن

الطابع الذي ساد هذا اللقاء هو طابع سياسي، ربما تم على أساسه إدامة العلاقة القديمة التي تربط الامويين بالبيزنطيين حكام بلاد الشام، أو ربما يكون هذا اللقاء تجديد للتعاون الاستخباراتي بينه وبين البيزنطيين.

الهوامش:

(١) العقبة: مدينة تقع على طريق مكة من ناحية بلاد الشام قبل القاع(الأردن)، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٣٤

(٢) أحمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، ص٢٩٥

(٣) الايلاف: هي الالفة من يؤلفون ويجهزون ويتألفون أي يستجيرون، والايلاف هو العهد والذمام. ينظر: ابن منظور لسان العرب، ج٩، ص١٠

(٤) هي العهود والمواثيق والذمم والأمان وهو بمثابة الجوار، ينظر: علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٣٧٨-٣٨٨ ،ج٥،ص٦٢٩

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٨-٧٨

(٦) ابن حبيب، المنمق ، ص٤٤- ٤٥ ؛ الطبري، تاريخ: ج٢، ص١٢-١٣

(٧) أخوة هاشم بن عبد مناف بن قصي هم المطلب بن عبد مناف وكان أكبر أولاد عبد مناف ويسمى الفيض، وعبد شمس بن عبد مناف الذي أخذ ايلافاً من ملك الحبشة، نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه أخذ عهداً من كسرى في أرض العراق، للمزيد ينظر: ابن حبيب، المنمق، ص٤٥

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٩

(٩) ابن حبيب، المنمق، ص٤٥؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٤

(١٠) جواد علي، المفصل، ج٧،ص٢٨٧- ٢٨٨

(١١) ابن حبيب، المنمق، ص٤٥

(١٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧،ص٢٨٨

(١٣) سورة قريش، الآية:(١-٤)

(١٤) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٦٥

(١٥) احمد اسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص٢٩٥

(١٦) احمد اسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ص٢٩٦

(١٧) بصرى: مدينة من مدن بلاد الشام، من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، فتحها المسلمون سنة(١٣هـ)، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤١

(١٨) الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص٢٧

(١٩) جواد علي، المفصل، ج٧، ص٢٩٥

(٢٠) البلقاء: مدينة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عَمان، كثيرة الخيرات والمزارع ويضرب المثل بجودة منتجاتها الزراعية : ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٨٩

(٢١) البلاذري، فتوح البلدان ، ج١، ص١٥٣

(٢٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٥،ص٣٠٠

(٢٣) أبن شبة، تاريخ المدينة المنورة، ج١، ص٢٢٢

(٢٤) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٢-١٣؛ أبن سعد: غزوات النبي وسراياه ، ص٩؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٠٣

(٢٥) الواقدي، المغازي، ج١، ص١٩٧؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٨١

(٢٦) ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٥٢٣

(٢٧) ابن سعد ، الطبقات الكبرى،ج١، ص٧٥-٧٦

(٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٨٢-٨٣

(٢٩) الغرائر: مفردها غِر وهي الجلال والاعدال التي يحمل فيها الطيب والحرير ونحو ذلك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦٣٨، ج٥، ص١٨

(٣٠) الطبري تاريخ، ج٢، ص١٣؛ ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الامم والملوك،ج٢،ص٢١٢

(٣١) وهب بن عبد قصي بن قصي بن كلاب، وكان صاحب الرفادة دون قريش كلها وسيد من ساداتها. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٢، ص٤٨٤

(٣٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٦

(٣٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٦؛ ابن حبيب، المنمق، ص٩٩- ١٠٠؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١،ص٦١

(٣٤) المنافرة: وتعني المحاكمة الى من يقضي في الخصومة او المفاخرة، ونافرت فلاناً الى فلان فنفرني، أي غلبني ، وكأنما جاءت المنافرة بهذه الدلالة لأنهم كانوا يسألون الحاكم أإنا أعز نفراً أم فلان. ينظر: الفراهيدي، العين ، ج٨، ص٢٦٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٢٦

(٣٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج١،ص٧٦؛ ابن حبيب، المنمق،ص١٠٠؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٦١؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٣؛ أبن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٢١٢؛ أبن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٧؛ أبن أبي حاتم ، الدر النظيم ، ص٤٢

(٣٦) شرف الدين، صدر الدين، هاشم وامية في الجاهلية،ص٢٤-٢٦

(٣٧) الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٣؛ابن الجوزي، المنتظم، ج٢، ص٢١١

(٣٨) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١، ص٦٣

(٣٩) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١،ص٦٣

(٤٠) صدر الدين شرف الدين، هاشم وأمية، ص٢٥

(٤١) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج ١، ص٦٦

(٤٢) صدر الدين، هاشم وأمية، ٢٥

(٤٣) اليعقوبي، تاريخ ، ج١، ص٢٤٢؛ الطبري، تاريخ ، ج٢، ص١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٢،ص٢١١

(٤٤) صدر الدين، هاشم وامية، ص٢٥

(٤٥)علي الكوراني: جواهر التاريخ، ج١، ص٥٤-٥٥

(٤٦) علي الكوراني، جواهر التاريخ، ج١، ص٥٥

(٤٧) ابن حبيب، المنمق، ص٩٨

(٤٨) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص٢٣٣-٢٣٤

(٤٩) حسن الشاكري، هاشم وعبد شمس، ص٣٣ ؛ صدر الدين، هاشم وأمية في الجاهلية، ص٢٨

(٥٠) خطب أمير المؤمنين، نهج البلاغة ، ص٣٧٥

(٥١) المجلسي، بحار الانوار ، ج٣٣،ص١٠٦-١٠٧

(٥٢) صفورية: بلدة من نواحي الأردن في بلاد الشام ،تقع بالقرب من طبرية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٤

(٥٣) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص٣١٩؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة ، ج٥، ص٣٩٨

(٥٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٠٧

(٥٥) أبن حبيب، المنمق، ص١٠٠

(٥٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦،ص١٨٧

(٥٧) البلاذري، أنساب الاشراف،ج١،ص٦٠؛ الطبري، تاريخ،ج٢،ص١٣

(٥٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج١،ص٧٦

(٥٩) ابن حبيب، المنمق،ص٩٩؛ البلاذري، انساب الاشراف،ج١،ص٦١

(٦٠) ابن حبيب، المنمق، ص٩٩

(٦١) ابن حبيب، المنمق، ص٩٩-١٠٠؛ ابو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج١٦،ص٤٥٥

(٦٢) ابو همهمة: عمرو بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن ابي وديعة بن الحارث بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانة، ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة،ص٤٧

(٦٣) ابن حبيب، المنمق، ص٩٨؛ البلاذري،ج١،ص٦٠

(٦٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٨

(٦٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ج١، ص٢٤٢ ؛ الطبري، تاريخ، ج٢ ، ص١٣؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢، ص٢١١

(٦٦)المقريزي، النزاع والتخاصم ، ص٤٧

(٦٧)هي التوائم التي تنشأ من مشيمة وبيضة واحدة، وتُعد متطابقة ومتساوية، لم يكتمل انفصالها، وتولد ملتصقة في منطقة او أكثر من الجسم وهي متطابقة الجنس والصفات الوراثية، ويعود سبب التسمية لولادة أول توأمين من هذا النوع في سيام (تايلند) ومنه أخذت التسمية، ينظر: ناصر عبدالله الميمان، الاحكام الفقهية المتعلقة بالتوأم الملتصقة، ص٦

(٦٨)المقريزي، النزاع والتخاصم،ص٤٧

(٦٩) اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٤٢؛ الطبري، تاريخ ، ج١، ص١٣؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج ٢ ، ص٢١١

(٧٠)المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٧

(٧١)الطبقات الكبرى، ج١،ص٧٥

(٧٢)اليعقوبي، تاريخ، ج١،ص٢٤٢؛ الطبري، تاريخ، ج١،ص١٣

(٧٣)المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٤٧

(٧٤) صدر الدين، هاشم وأمية في الجاهلية، ص٢٠

(٧٥)البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٦١؛ الطبري، ج٢، ص١٤

(٧٦) جواهر التاريخ، ج١، ص٤٥

(٧٧) ابن حبيب، المنمق، ص٤٥

(٧٨) احمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام،ص٢٩٦

(٧٩) جواد علي، المفصل، ج٢، ص٦٣١-٦٣٢

(٨٠)سعيد الافغاني، اسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ص٨١-٨٢

(٨١) شكران خربوطلي: شبه جزيرة العرب والصراع الدولي ، ص٦٧

(٨٢) شكران خربوطلي، شبه الجزيرة العربية والصراع الدولي، ص٦٧

(٨٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٥؛ ابن حبيب، المنمق، ص٤٢

(٨٤)احمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، ص٢٩٨

(٨٥) بصرى: مدينة في الشام من أعمال دمشق، وهي من المدن الشهيرة عند العرب قبل الإسلام، فقد كانت عاصمة دولة تدمر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤١

(٨٦) احمد إسماعيل، تاريخ بلاد الشام، ص٢٩٨

(٨٧) فيلارخ: وهو لقب كان يمنحه البيزنطيين على زعماء القبائل وساداتها المتحالفين معهم. ينظر: جواد علي، المفصل، ج٣، ص٤٠٥

(٨٨)ابن عساكر، تاريخ مدينة دمسق،ج٣٩،ص٤

(٨٩)ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣، ص٢

(٩٠) معان: وهي من مدن أطراف بادية بلاد الشام التي تلي الحجاز، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٣

(٩١) الزرقاء: وهو مكان في بلاد الشام محاذي لمدينة معان، وقيل أنه نهر عظيم يصب في الغور – الأردن– ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٧

(٩٢)ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٥؛ ابن عساكر ،تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٩، ص٢٢

(٩٣)أبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص١١

(٩٤)أبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص١١

(٩٥)أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٥٢٣–٥٢٤

قائمة المصادر:

* القران الكريم

المصادر القديمة:

* البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

١ – فتوح البلدان (تحقيق ، د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة /د.ت)

* أبن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٢- ٣٨ – المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (تحقيق ، محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، راجعه وصححه ، نعيم زرزور ، ط١، دار الكتب العلمية / بيروت /١٩٩٢م)

* أبن أبي حاتم ، يوسف بن حاتم الشامي(ت٦٦٤هـ)

٣- الدر النظيم(مؤسسة النشر الإسلامي – قم المقدسة/ د.ت)

* أبن حبيب ، محمد البغدادي(ت٢٤٥هـ/٨٥٩م)

٤- المحبر (مطبعة الدائرة ، د.ن / د. ت)

٥- المنمق في أخبار قريش (تحقيق، خورشيد أحمد فاروق ، دار صادر – بيروت/ د.ت)

* أبن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت : ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

٦- – الإصابة في تميز الصحابة (تحقيق ، عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت/ ١٩٩٥م)

* أبن أبي الحديد المعتزلي ، عبد الحميد بن محمد بن محمد (ت : ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

٧ – شرح نهج البلاغة (تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار إحياء الكتب العربية – بيروت/ ١٩٦٧م) .

* أبن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت : ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)

٨ – تاريخ خليفة بن خياط (تحقيق ، د. سهيل زكار، دار الفكر– بيروت /١٤١٤هـ/١٩٩٣م)

* أبن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت : ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)

٩ – الطبقات الكبرى (دار صادر – بيروت / د . ت)

١٠ – غزوات النبي -٦- (تحقيق، احمد عبد الغفور، علي عطا، دار بيروت – بيروت/ ١٩٨١)

* أبن شبه النميري ، أبو زيد عمر بن شبه (ت : ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م)

١١ – تاريخ المدينة المنورة (تحقيق ، فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر – قم المشرفة / ١٤١٠ هـ)

* الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي (٤٠٦هـ/١٠١٥م)

١٢ – خطب أمير المؤمنين في نهج البلاغة (ضبط وفهرسة، صبحي صالح –بيروت /١٩٦٧)

* الطباطبائي ،محمد حسين(ت١٤٠٢هـ):

١٣– الميزان في تفسير القرآن(مؤسسة النشر . قم المقدسة/ د.ت)

* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

١٤ – تاريخ الرسل والملوك (مؤسسة الأعلمي – بيروت / ١٩٨٣ م)

* أبن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن أبن هبة الله (ت : ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م)

١٥ – تاريخ مدينة دمشق (تحقيق ، علي شيري ، دار الفكر– بيروت / ١٤١٥هـ)

* الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت : ١٧٥ هـ / ٧٩١ م)

١٦– كتاب العين (تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط مزيدة، دار الهجرة – إيران / ١٤٠٩ هـ)

* أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين (ت : ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م)

١٧ – الأغاني (دار إحياء التراث – بيروت / د . ت)

* أبن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

١٨ – المعارف (تحقيق ، ثروت عكاشة ، ط٢، دار المعارف – مصر /١٩٦٩م)

* المجلسي ، محمد باقر (ت : ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)

١٩ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (تحقيق ، عبد الرحيم الرباني الشيرازي ، مؤسسة الوفاء – بيروت /١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م)

* المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت : ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)

٢٠ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق ، بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت /١٩٩٢م)

* المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

٢١– التنبيه والاشراف (دار صعب – بيروت / د.ت)

* المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت : ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

٢٢ – النزاع والتخاصم بين أمية وبني هاشم (تحقيق ، علي عاشور ، د.ن / د.ت)

* أبن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م)

٢٣ – لسان العرب (دار الحوزة – قم المقدسة / ١٤٠٤هـ)

* أبن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحميري (ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

٢٤ – السيرة النبوية (تصحيح ، ناجي إبراهيم سويد ، طبعة منقحة ومصححة ، دار الأرقم – بيروت / د . ت)

* الواقدي ، محمد بن عمر (ت : ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)

٢٥ – المغازي (تحقيق ، مارسدن جونس ، دانش إسلامي – (د.مكا)/١٤٠٥ هـ)

٢٦– فتوح الشام (دار الجيل – بيروت / د. ت)

* ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت : ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)

٢٧– معجم البلدان (دار إحياء التراث العربي – بيروت /١٤٠٠هـ / ١٩٧٩ م)

* اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)

٢٨– تاريخ اليعقوبي (دار صادر – بيروت / د . ت) .

المراجع الحديثة:-

* الافغاني ، سعيد

٢٩ – أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط٤ – د. ن/ ١٩٩٣م)

*الخربوطي، شكران

٣٠ – شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع وحتى ظهور الإسلام (دار أرسلان – بيروت / ٢٠٠٧م)

* الشاكري ، حسن

٣١– هاشم وعبد شمس (مؤسسة حكمت – قم المقدسة / د.ت)

* صدر الدين ، شرف الدين

٣٢ – هاشم وأمية في الجاهلية (د. ن / د. ت)

* علي، أحمد أسماعيل

٣٣ – تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي(ط٣ ، دار دمشق – دمشق / ١٩٩٤م)

* علي ، جواد

٣٤ – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط٢ ، جامعة بغداد / ١٩٩٣)

* الكوراني، علي العاملي

٣٥ – جواهر التاريخ (ط٢ ، دار الهدى – د. ت)

* الميماني ، ناصر عبد الله

٣٦ – الاحكام الفقهية المتعلقة بالتوأم الملتصقة (المجمع الفقهي الإسلامي – مكة المكرمة / ٢٠١٠م)